لا أَلْحَظُ الدُّنْيَا بِعَيْنَيْ وَامِقٍ،
وَلا أُبَالِي قِلَّةَ الْمُوَافِقِ (١)
أَيْ كَبْتَ كُلِّ حَاسِدٍ مُنَافِقِ
أَنْتَ لَنَا وَكُلُّنَا لِلْخَالِقِ (٢)

كريشة في مهب الريح

وورد الخبر بأن غلمان ابن كيغلغ قتلوه فقال: [البسيط]

قَالُوا لَنَا: مَاتَ إِسْحَاقٌ فَقُلْتُ لَهُمْ:
هٰذَا الدَّوَاءُ الَّذِي يَشْفِي مِنَ ٱلْحُمَقِ (٣)
إِنْ مَاتَ مَاتَ بِلَا فَقْدٍ وَلَا أَسَفٍ،
أَوْ عَاشَ عَاشَ بِلَا خَلْقٍ وَلا خُلُقِ (٤)
مِنْهُ تَعَلَّمَ عَبْدٌ شَقَّ هَامَتَهُ
خَوْنَ الصَّدِيقِ وَدَسَّ الْغَدْرِ فِي الْمَلَقِ (٥)
وَحَلْفَ أَلْفِ يَمِينٍ غَيْرَ صَادِقَةٍ
مَطْرُودَةٍ كَكُعُوبِ الرُّمْحِ فِي نَسَقِ (٦)

= القميص. من مآثر ذلك المهر أنه يحمل صاحبه، وبيده سيفه يقطر من دماء الأعداء.

(١) لحظه: رمقه بمؤخر عينيه. الوامق: المحب. يخلص الشاعر إلى ذكر مبتغاه من الدنيا، إنه لا يأمل منها ولا يرنو إليها بعين محبّ عاشق، لأنها تذلّ من تبعها، والشاعر لا يرى أنها تُطاوعه فتسهل وصوله إلى المعالي، بل عليه أن يعمل على إدراك ذلك بهمّة دون الاعتماد على أحد، فهو قادر على ذلك بمفرده.

(٢) كبت: أذلّ. يُخاطب الشاعر مهره، إنه يُعينه على إذلال حساده بمساعدته وكبتهم، فهم يحسدونه على ذلك المهر، وكلاهما مصيرهما واحد يكلأهما برعايته وحمايته.

(٣) و (٤) تنامى إلى مسامع الشاعر أن إسحاق بن كيغلغ مات. فردّ بأن لا دواء إلى الأحمق إلّا الموت، فإنه يرتاح من سخرية الناس ويرتاح الناس من حمقه وغفلته. إنه هجاء أخلاقي مرّ أن ينعت امرؤ بالغباء والحمق. لذا فموت الرجل لا يشعر به الخلق وحياته لا تهمّ أحداً منهم لعدم فائدته للخلق، ولذا فهم لا يتأثّرون بموته وحياتهم تجري على وتيرتها.

(٥) و (٦) الهامة: الرأس. الخون: الخيانة. الملق: التودد الكاذب بحلو الحديث. لقد =

مَـــا زِلْـــتُ أَعْـــرِفُـــهُ قِـــرْداً بِـــلَا ذَنَـــبِ
صِـفْـراً مِـنَ الْـبَـأْسِ مَـمْـلُـوءًا مِـنَ الـنَّـزَقِ[١]
كَـرِيـشَـةٍ بِـمَـهَـبِّ الـرِّيـحِ سَـاقِـطَـةٍ
لا تَـسْـتَـقِـرُّ عَـلَـى حَـالٍ مِـنَ الْـقَـلَـقِ[٢]
تَـسْـتَـغْـرِقُ الْـكَـفُّ فَـوْدَيْـهِ وَمَـنْـكِـبَـهُ
وَتَـكْـتَـسِـي مِـنْـه رِيـحَ الْـجَـوْرَبِ الْـعَـرِقِ[٣]
فَـسَـائِـلُـوا قَـاتِـلِـيـهِ كَـيْـفَ مَـاتَ لَـهُـمْ
مَـوْتـاً مِـنَ الـضَّـرْبِ أَوْ مَـوْتـاً مِـنَ الْـفَـرَقِ[٤]
وَأَيْـنَ مَـوْقِـعُ حَـدِّ الـسَّـيْـفِ مِـنْ شَـبَـحٍ
بِـغَـيْـرِ رَأْسٍ وَلا جِـسْـمٍ وَلا عُـنُـقِ[٥]

= شرب المهجو من كأس لطالما سقى بها غيره، مفادها مكر كاذب وملق خادع وغدر مموّه بودّ لئيم، ولقد سلك عبده معه ذات المسلك حتى تمكّن منه فغدر به كما كان يغدر بأصدقائه، إنه صنع يديه وتلميذه في الغدر، فقد أقسم أيماناً مغلظة بلغت ألفاً توالت كنسق رمح ذات كعوب، مموّه بفنون الكذب الملفق بحلو الحديث.

(١) و (٢) يتابع الشاعر، مؤكداً قسم القاتل أنه على معرفة لا شكّ فيها أن المهجو قرد يُضحك بحركاته وحديثه حتى المحزون فيزيل همّه، إنه جبان رعديد تُرهبه أقل همسة أو حركة، وإذا تصرّف في أمر ما بدا على حقيقته غبياً أبله، فبدا كريشة لا قيمة لها تتلاعب بها الريح كيفما اتفق لها، فلا تستقرّ في مكان، فالخوف يتملّكه فلا يدري كيف يتصرّف لينجو ممَّا سبب لنفسه من ارتباك.

(٣) الفودان: جانبا الرأس. الجورب: لباس الأرجل. العَرِق: المبتل عرقاً. يصف الشاعر مهجوّه فيصفه وصفاً مسخيًّا تحقيراً له، إنه صغير الرأس قصير العنق، بشع الوجه، وفي حال صفع بأكفّ الصافعين تخرج أيديهم ملوّثة من نتن جسده، فيتبشعون ذلك ويتمنوْن لو لم يفعلوا ذلك.

(٤) و (٥) الفرق: شدّة الخوف. يطلب أن يُسأل قاتلوه، وهو يعلم أنه جبان رعديد كيف تمّ لهم ما فعلوه به، فهل مات خوفاً ورعباً أم مات من شدّة الضرب على قفاه؟ ثم يسألهم أين موقع السيف الذي أودى بحياته، إنه شبح وليس بإنسان كامل وطبيعي، فلا رأس له ولا جسم ولا عنق، إنه لا شيء، لا وجود: إنَّه مسخ عجيب.

لَـوْلَا ٱلـلِّـئَـامُ وَشَـيْءٌ مِـنْ مُـشَـابَـهَـةٍ
لَـكَـانَ ٱلْأَمَ طِـفْـلٍ لُـفَّ فـي خِـرَقِ[١]
كَـلَامُ أَكْـثَـرِ مَـنْ تَـلْـقَـى وَمَـنْـظَـرُهُ
مِـمَّـا يَـشُـقُّ عَـلَـى الآذَانِ وَٱلْـحَـدَقِ[٢]

الغنى قبيح في يد اللئيم

يمدح أبا العشائر الحسن بن علي بن الحسين بن حمدان العدوي: [الخفيف]

أَتُـرَاهَـا لِـكَـثْـرَةِ الْـعُـشَّـاقِ
تَـحْـسَـبُ الـدَّمْـعَ خِـلْـقَـةً فـي الـمَـآقـي[٣]
كَـيْـفَ تَـرثِـي الـتـي تَـرَى كـلَّ جَـفْـنٍ
رَاءَهَـا غَـيْـرَ جَـفْـنِـهَـا غَـيْـرَ رَاقِـي[٤]
أَنْـتِ مِـنَّـا فَـتَـنْـتِ نَـفْـسَـكِ لَـكِـنَّـ
ـكِ عُـوفِـيـتِ مِـنْ ضَـنًـى وَاشْـتِـيَـاقِ[٥]

(١) الولد سرّ أبيه، فآباء إسحاق تشرّبوا اللؤم طبعاً، فتأصل في سلوكهم، والآباء قدوة الأبناء ينشئونهم كما تربّوْا؛ فالكل شركاء في لؤم الطباع، ولولا آباؤه لكان ألام طفل لُفَّ في خرق، حتى الخرق تدلّ على الخساسة بذاتها.

(٢) يشقّ: يصعب. الأحداق: العيون. إن ما يُوحيه من منظر يُوحي بالودّ، ولكن الحقيقة أن منطق إسحاق يُؤذي الآذان لما فيه من غثاثة في القول المغلف بالخبث، وما يُثير الاشمئزاز قماءة منظره وبشاعته.

(٣) ورد البيت في: الوساطة بين المتنبي وخصومه: ١٥٨. يبدأ الشاعر قصيدته المدحية بمطلع غزلي. أترى: أتظنّ. المآقي، الواحد مؤق: مؤخر العين ممَّا يلي الأنف، يسأل الشاعر صاحبه مستعلماً عن علم محبوبته إذا كانت تعتقد أن بكاء عشاقها لشدّة حبهم لها أن دموع هؤلاء في مآقيهم خِلقة جُبلوا عليها.

(٤) ورد البيت في: الوساطة بين المتنبي وخصومه: ٨٤. راءها: مقلوب رآها. راقي؛ ورقأ الدمع: انقطع. يسأل الشاعر عن غادة حسناء ترى كلّ العيون دامعة فلا ترثي لحال أصحابها الذين تركتهم يتعذّبون لإهمالها لهم وهجرهم بينما كانت عيناها لا تدمعان، فكيف يمكنها أن تتألم لما يُعانون من الحرمان.

(٥) الضنى: الضعف والهزال. يُخاطب الشاعر محبوبته ويعتبرها نرجسيّة قد هامت بحبّ =